الفصلُ الحادي والثّلاثونَ

الصّداقةُ والصّديقُ

(١)
أبياتٌ لِسُراقَةَ بنِ مِرْدَاسٍ

١ ــ قال سُراقةُ بنُ مِرْدَاسٍ البارقيُّ يَحُضُّ على مُصادقَةِ العاقِلِ، ومُفارقةِ الجاهِلِ:

ديوان سراقة البارقي ص: ٤٧

١ – مُجالَسَةُ السَّفيهِ سَفَاهُ رأيٍ ومِنْ حِلْمٍ مُجالَسَةُ الحَليمِ
٢ – فإنَّكَ والقَرينَ معاً سَواءٌ كما قُدَّ الأديمُ مِنَ الأديمِ

---

١ ــ جالسَهُ مجالسَةً: جلسَ معه، أي قعدَ. أراد مرافقتَهُ ومصادقتَهُ. والسَّفِيهُ: الجاهل الأحمقُ الطَّائش. والسَّفَاهُ: الجهل وخِفَّةُ الحِلْمِ. والحِلْمُ: الأناةُ والعقلُ والتَّثبُّتُ في الأمورِ. والحليمُ: ذو الحِلْمِ، أي العاقلُ.

٢ ــ القَرينُ: المصاحبُ، يكونُ في الخيرِ والشَّرِّ. وسَواءُ الشيءِ: مثلُهُ، وهما سَواءٌ، أي سِيَّانِ، أي مِثلانِ. وهم سواءٌ وأسْوَاءٌ. وقُدَّ: قُطِعَ. والأديمُ: الجِلْدُ. يقولُ: هما من طينةٍ واحدةٍ، أي خِلْقةٍ وجبلَّةٍ وأصلٍ.

٢ ــ وقال سراقة بن مرداس البارقي يدعو إلى التمسك بالصديق وإمحاض الحب لــه، وإلى التجنب للعدو والإعراض عنه:

ديوان سراقة البارقي ص: ٦٠

١ – وأرى من الــرأي المصيــب ثباتــه أن لا تصــل حبــلا إذا لم توصــل

٢ – واســتبق ودك للصديــق ولا تقــل أبــدا لــذي ضغــن مبــين أقبــل

---

١ ــ المصيب: السديد. وثباته: أراد الثبات عليه، أي الإقامة عليه وعدم التحول عنــه. ولا تصل حبلا إذا لم توصل: أي لا تتقرب إلا إلى من تقرب إليك، ولا تتحبب إلا إلى من تحبب إليك.

٢ ــ استبقى وده للصديق: رعاه وحافظ عليــه، أي لم يقطعه ولم يتنكر له. والضغن: الحقد والعــداوة والبغضاء. والمبين: البين، أي الظاهــر الواضح الذي لا يخفى. ولا تقل له أقبــل: لا تدعه إلى أن يكون صديقا لك، أي تنح عنه وابتعد.

(٢)

مقطوعتانِ للنَّابغةِ الشَّيْبَانيِّ

١ ــ قال النَّابغةُ الشَّيبانيُّ يُوصي بمصادقةِ أهْلِ الشَّجاعةِ والسَّماحةِ:

ديوان نابغة بني شيبان ص: ٣٥

١ – فصَاحِبْ كُلَّ أرْوَعَ دَهْثَمِيٍّ ... ولا يَصْحَبْكَ ذُو الغَلَقِ الحَدِيدُ

٢ – يَرَى مَا نَالَ غُنْماً كُلَّ يَوْمٍ ... صَفَاةٌ حين تَخْبُرُهُ صَلُودُ

٣ – وشَرَّ مُصَاحبٍ خُلُقٌ قَسِيٌّ ... ونِعْمَ الصَّاحِبِ الخُلُقُ السَّدِيدُ

---

١ ــ الأرْوَعُ: الرَّجل الكريم ذو الجِسْمِ والجَهارةِ والفَضلِ والسُّودَدِ، أي الشَّرف. وقيل: هو الجميلُ الذي يَرُوعُكَ حُسْنُهُ ويُعجبُكَ إذا رأيتَهُ. وقيل: حيُّ النَّفْسِ ذكيٌّ، من الرَّوَعِ بالتَّحْريك، وهو ذكاءُ الرُّوع، أي القلب. والدَّهْثَميُّ: الرَّجل السَّخيُّ الدَّمِثُ السَّهْلُ الخُلُقِ. وصَحِبَهُ: عاشره وخالطَهُ. وذو الغَلَقِ: الغَلِقُ، وهو الضَّيِّقُ الخُلُقِ العَسِرُ الرِّضا. وقيل: السَّيِّئُ الخُلُقِ أو الكثيرُ الغضبِ. والحديدُ: الأخْرقُ المُتسرِّعُ الجافي الطَّبْعِ، من الحِدَّةِ، وهي ما يَعْتري الإنسانَ من النَّزَقِ والغضبِ.

٢ ــ نال: أصاب. والغُنْمُ: المكْسَبُ. والصَّفاةُ: الصَّخرةُ الملساء. وقيل: الحجرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الذي لا يُنْبِتُ شيئاً. وهو كنايةٌ عن بخلِهِ وإمساكِهِ لمالِه. يقال: فلانٌ لا تَنْدَى صفَاتُهُ، أي بخيلٌ. (أساس البلاغة: ندى، واللسان: صفا). وتَخْبُرُهُ: تبلُوهُ وتمتحِنُهُ. ورجلٌ صَلْدٌ وصَلُودٌ: أي بخيلٌ جدًّا.

٣ ــ شَرٌّ مُصاحِبٍ: أسْوأُ صاحبٍ وأردؤُهُ. وخُلُقٌ قَسِيٌّ: شديدٌ صَفيقٌ لا خيرَ فيه. وخُلُقٌ سَدِيدٌ: قَويمٌ معتدلٌ لا عيب فيه.

٢ ــ وقال النَّابِغَةُ الشَّيْبَانِيُّ يَحُثُّ على الوفاءِ للصَّديقِ والتَّرَفُّقِ في مُعامَلَتِهِ:

ديوان نابغة بني شيبان ص: ١١٧

١ – إذا أنــا لم أَنْفَــعْ صَدِيقِــي بِــوُدِّه فإنَّ عَــــدُوِّي لم يَضُرَّهُــمُ بُغْضِــي

٢ – أَلِينُ لِمَنْ صَادَقْتُ مِنْ حُسْنِ شِــيمَتِي وأَكْحَلُ مَنْ عادَيْتُ بالكُحْلِ المَــضِّ

---

١ ــ نفع صديقه: أفادهُ. يريد: راعى حَقَّهُ و لم يُفْرِّطْ في جَنْبه. والوُدُّ: الحُبُّ. والعدوُّ: الـذي يعاديكَ ويظهرُ البُغْضَ لكَ، وهو حربٌ عليك، ضِدُّ الصَّديق، يكونُ للواحدِ والاثنين والجميـــع، والأُنْثَى والذكَرِ بلفظٍ واحدٍ. وهو وَصْفٌ، ولكنَّهُ ضارَعَ الاسم، وقد يُثَنَّى ويُجْمَعُ ويُؤنَّثُ، والجمعُ أعداءٌ. وضرَّهُ: آذاهُ وساءَه، أي أنْزَلَ به ما يكْرَهُ. والبُغضُ: الكُرْهُ والمَقْتُ، نقيضُ الحُبِّ.

٢ ــ لانَ لصديقه: رَقَّ له ورَفَقَ به، أي أحسنَ معاملَتَهُ. والشِّيمَةُ: الخُلُقُ. وكَحَلَهُ كُحْـــلاً مَضًّا: إذا كان يُحْرِقُ. وكُحْلٌ مَضٌّ: يُمِضُّ العين، أي يُحرِقَها. يقول: أعْنَفُ به حتى أشُقَّ عليه.

(٣)

مقطوعاتٌ لمسكينٍ الدّارميِّ

١ ــ قال مسْكينٌ الدَّارِميُّ يَذكُرُ أنواع الأصدقاءِ:

ديوان مسكين الدارمي ص: ٥٥

١ – تَعَلَّمْ بأنَّ الأصْدقاءَ ثَلاثَةٌ ... وما كُلُّ مَنْ آخَيْتَهُ بِصَدِيقِ

٢ – وأصْفاهُمُ وُدًّا أَخُو الطَّبْعِ منْهمُ ... وأثْبَتُهُمْ في وَحْدَةٍ وفَرِيقِ

٣ – فذلِكَ مَوْثُوقٌ بِه في أمُورِه ... وفي كُلِّ ما حالٍ أعَزَّ وثِيقِ

٤ – وأكْذَبُهُمْ وُدًّا أخُو الكَأسِ إنَّهُ ... صَدِيقُ صَبُوحٍ دائمٍ وغَبُوقِ

٥ – وبينَهما المُضْطَرُّ يَلْتَمِسُ الَّتي ... جَمِيعُهُمُ فيها بِكُلِّ طَرِيقِ

٦ – فذاكَ تُدانِيهِ فَتُدْنِيهِ مَرَّةً ... وتَجْفُوهُ أخْرَى منكَ فِعْلَ رَفِيقِ

---

١ ــ تَعَلَّمْ: بمعنى اعْلَمْ، ولا يُستعملُ إلاَّ في الأمر. وآخى الرجلَ وتأخَّاهُ: اتَّخذَهُ أخاً. وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ: « آخى بينَ المهاجرينَ والأنصارِ ». أي أَلَّفَ بينهم بأُخوَّةِ الإسلامِ والإيمان. (اللسان: أخا).

٢ ــ أصفاهم: أخلصَهُم وأصدَقَهُمْ. وأخو الطَّبْعِ: الصادقُ غيرُ المتكلِّفِ. وأثْبَتُهُمْ: أبقاهُمْ على الوُدِّ وأكثرُهُمْ إقامةً عليه. والوَحْدَةُ: الانفرادُ. والفريقُ: الطائفة من النَّاسِ. أراد الاجْتماعَ. يقول: أخلصُ الأصدقاءِ الذي يَمْحَضُكَ الوُدَّ، ويَفي لك في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ.

٣ ــ الموثوقُ: المأمُونُ الذي لا تُخافُ غائلتُهُ. والأعزُّ: العزيز. أراد الشَّديدَ الشِّاق. والوثيقُ: المُحْكَمُ. أراد الضَّيِّقَ المُسْتَغْلِقَ الذي لا مخرجَ منه.

٤ ــ أكْذَبُهم: أكثرهم نفاقاً ورياءً. وأخُو الكأسِ: النَّديم، وهو الذي يجالسُهُ على الشَّرابِ. والصَّبُوحُ: الشُّرْبُ بالغداةِ. والغَبُوق: الشُّربُ بالعشيِّ.

٥ ــ المضْطَرُّ: المُحْتاجُ الذي أَلْجَأَتْهُ الضَّرورة، أي الحاجةُ. وقوله: « يَلْتَمِسُ التي جَمِيعُهُمْ فيها بكلِّ طريقٍ »: أي يطلبُ المنفعةَ التي يطلُبها غيرُهُ.

٦ ــ تدانيه: تقاربُهُ. وتُدْنيهِ: تُقرِّبُهُ. وتجفُوهُ: تَطَّرِحُهُ، أي تتركُ صلتَهُ وبرَّهُ. وفِعْلُ الرَّفيقِ: معاملَةُ اللَّطيفِ اللَّيِّنِ الجانبِ.

٧ – تُكافِيهِ في الحَالاتِ ما كانَ يَرْتَجـــي وتَحْذَرُ منهُ القُـرْبَ عنـدَ مَضِيـقِ
٨ – وكُلُّـهُمُ في طَبْعِـه يَحْـذَرُ الـتي تَضُرُّ ويَرْجُو النَّفْـعَ كُـلَّ شُـروقِ

---

٧ ــ تُكَافِيهِ: تُكافِئُهُ، أي تُجازِيهِ. أراد تعطيهِ. ويَرْتجي: يُؤَمِّلُ، أي يتوقَّعُ ويَرتَقِبُ وينتظِـرُ. وتحذرُ: تخافُ. والمضيقُ: ما ضاقَ من الأماكنِ والأمورِ. يقول: ولا تَرجُـو نُصرتَـهُ ومُؤازرتَـهُ ومواسائهُ لكَ في الشِّدَّة.

٨ ــ الطَّبْعُ: الخُلُقُ والسَّجيَّةُ. ويَحْذَرُ التي تَضُرُّ: أي يتجنَّبُ المضرَّة والأذى. والنَّفْعُ: المنفعـةُ والفائدةُ. وكلَّ شُرُوقٍ: أي كلَّ يومٍ.

٢ ــ وقال مِسْكينٌ الدَّارِميُّ ينهى عن معاشرةِ الحَمْقَى:

ديوان مسكين الدارمي ص: ٥٥

١ – اتَّــقِ الأحْمَــقَ أنْ تَصْحَبَــهُ ... إنَّمــا الأحْمَــقُ كــالثَّوْبِ الخَلَــقْ

٢ – كُلَّمــا رَقَّعْــتَ منــهُ جَانِبــاً ... حَرَّكَتْــهُ الرِّيــحُ وَهْنــاً فــانْخَرَقْ

٣ – أو كَصَــدْعٍ في زُجــاجٍ فَــاحِشٍ ... هلْ تَــرَى صَــدْعَ زُجــاجٍ مُتَّفِــقْ

٤ – وإذا جالسْــتَهُ في مَجْلِــسٍ ... أفْسَــدَ المَجْلِــسَ منــهُ بــالخَرَقْ

٥ – وإذا نَهْنَهْتَــهُ كــيْ يَرْعَــوِي ... زَادَ جَــهْلاً وتَمــادَى في الحَمَــقْ

٦ – وإذا الفــاحِشُ لاَقَــى فَاحِشــاً ... فَــهُناكُمْ وَافَــقَ الشَّــنُّ الطَّبَــقْ

٧ – إنَّمــا الفُحْــشُ ومَــنْ يَعتَــادُهُ ... كَغُرابِ السُّــوءِ مــا جــاعَ نَعَــقْ

---

١ ــ اتَّقى الرَّجل: حذِرَهُ، أي ابتعدَ عنه وتَحرَّزَ منه. والأحمقُ: السَّفيهُ الجاهلُ. وصَحِبَهُ: عاشرهُ وخالطهُ. والخَلَقُ: البالي.

٢ ــ رقَّعَ الثَّوْب: ألْحَمَ خَرْقَهُ، أي رمَّهُ وأصلحَهُ. وحَرَّكَتْهُ الرِّيحُ وهْناً: أي هزَّتْهُ هَزًّا ضعيفاً. وانْخَرَقَ: تمزَّقَ وتقطَّعَ.

٣ ــ الصَّدْعُ: الشَّقُّ، وتأويلُ الصَّدْعِ في الزُّجاج: أنْ يَبينَ بعضُهُ من بعــضٍ. والفــاحِشُ: المُستطيرُ، أي المُتبيِّنُ في الزُّجاجة من أوَّلها إلى آخرها، فلا يمكنُ رأبُهُ. والمُتَّفِق: المُلتئم المُتَّسقُ.

٤ ــ جالسهُ: جلس معه. والمجلسُ: موضعُ الجلوسِ. وأفسدَ المجلسَ: كَــدَّرَ صَفْــوَهُ، وآذَى أهله. والخَرَقُ: الطَّيشُ والنَّزَقُ وخِفَّةُ العقلِ.

٥ ــ نَهْنَهَهُ: كَفَّهُ وزجرَهُ. ويَرْعَوي: يَنْكفُّ ويَنــزجرَ، أي ينتهي ويُقْلِعُ، من الارْعِواء، وهو النَّدَمُ على الشيءِ والانصرافُ عنه والتَّرْكُ له. وزاد جهلاً: أغْرَقَ فيه. وتَمادَى في الحَمقِ: لجَّ فيه.

٦ ــ الفاحِشُ: ذو الفُحْشِ والخَنَا من قولٍ أو فعلٍ. وفي المَثَلِ: « وافَقَ شَنٌّ طبَقَةً ».يُضــربُ للمتَّفقين في الشِّدَّة وغيرها. (مجمع الأمثال ٣: ٤١٨). وقيل: يُضربُ لكــل اثنــينِ أو أمريــنِ جمعتهُمَا حالةٌ واحدةٌ اتَّصَفَ بها كلٌّ منهما. (اللسان: طبق).

٧ ــ الفُحْشُ: القبيحُ من القولِ والفعْلِ. واعتاد الشيءَ: صار عادةً له. وغُرابُ السُّوء: كنايةٌ عن كثرة الشَّرِّ والأذَى، وهو نذيرُ شُؤمٍ ونَحْسٍ، وهم يتشاءمون به ويتطيَّرون منه، وهم لا يُذكُرُون شيئاً مما يتطيَّرونَ منه إلاَّ ذكَرُوا الغرابَ معه، لأنه عندهم أنْكَدُ منه، يرونَ أنَّ صياحَهُ أكثرُ أخباراً، وأنَّ الزَّجْرَ فيه أعَمُّ. (انظر الحيوان ٢: ٣١٥، ٣١٦، ٣: ٤٤٣).

٨ – أو حِمارِ السُّوءِ إنْ أشْبَعْتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وإنْ شاءَ نَهَقْ
٩ – وغُلامِ السُّوءِ إنْ جَوَّعْتَهُ سَرَقَ الجارَ وإنْ يَشْبَعْ فَسَقْ
١٠ – أو كَغَيْرَى رَفَعَتْ مِنْ ذَيْلِها ثم أرْخَتْهُ ضِراطاً فانْمَزَقْ

---

٨ ــ حمارُ السُّوء: الذي لا منفعةَ له ولا فائدةَ منه. ورَمَحَ الفَرَسُ والبغلُ والحمارُ وكلُّ ذي حافرٍ رَمْحاً: ضَرَبَ برجْلِه. وقيل: ضَرَبَ برِجْليْهِ جميعاً. ونَهَقَ: صوَّتَ فآذى النّاس بصَوْته المُنكرِ.

٩ ــ فَسَقَ: فجرَ، وخرج عن أمْرِ مولاهُ فعصاهُ و لم يُطِعْهُ.

١٠ ــ امرأةٌ غَيْرَى وغيورٌ: شديدةُ الغَيْرةِ، وهي الحَمِيَّةُ والأنَفَةُ. والعربُ تقول: أغْيَرُ مِنَ الحُمَّى: أي أنها تُلازِمُ المَحْمُومَ ملازمةَ الغَيُور لبَعْلِها. ورفعتْ من ذيْلها: شَمَّرَتْ ثَوْبَها، وهو كناية عن الجدِّ في الأمْرِ والانكماشِ فيه. أرادَ بالغت في غَيْرِها. وأرْخَتْه: أرسلتهُ. وانْمَزَقَ: انْخرقَ. وهو كنايةٌ عن الخيبةِ والخِذلانِ.

٣ ــ وقال مِسْكِينٌ الدَّارِميُّ يَصِفُ حِفْظَهُ لأسْرارِ أصْحابِهِ:

ديوان مسكين الدارمي ص: ٥٢

١ – إنِّي امْرؤٌ مِنِّي الحياءُ الـــذي تَـــرَى ... أعِيـــشُ بـــأخْلاقٍ قليـــلٍ خِدَاعُـــها

٢ – أواخي رِجالاً لسْتُ أطْلِعُ بَعْضَـــهُمْ ... عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غيرَ أنِّـــي جمَاعُـــها

٣ – يَظَلُّونَ شَـــتَّى في البِـــلادِ وسِـــرُّهُمْ ... إلى صَخْرَةٍ أعْيا الرِّجالَ الْصِدَاعُـــها

٤ – لكلِّ امرىءٍ شعْبٌ مِنَ القَلْبِ فـــارغٌ ... ومَوْضِعُ نَجْوَى لا يُـــرَامُ اطِّلاَعُـــها

---

١ ــ الحياءُ: الاسْتِحْياءُ. والأخلاقُ: جمع خُلُقٍ، وهو الطَّبْعُ والسَّجِيَّةُ. والخِدَاعُ: التَّلَوُّنُ وعدمُ الثَّباتِ على رأيٍ واحدٍ، أي التَّذَبْذُبُ والتَّقلُّب.

٢ ــ واخَاهُ: آخاهُ، أي اتَّخذهُ أخاً، قيل: وهي لغة ضعيفةٌ. وقيل: قُلِبَتْ الهمزةُ واواً على التَّخفيف. وأطلعَهُ على سِرِّ غيرِه: أعلمَهُ به وأظهرَهُ عليه. وجِماع الأمْرِ: مَجْمَعُهُ.

٣ ــ قَوْمٌ شَتَّى: متفرِّقُونَ منتشِرونَ. والصَّخرَةُ: الحجرُ العظيمُ الصُّلْبُ. وأعْياهُ الأمرُ: أعجزَهُ. والانْصِدَاعُ: الانْشِقاقُ. يقولُ: أكْتُمُ أسرارَهم وأخفِيهَا في صدري ولا أبُوحُ بها لأحدٍ، فكأنَّـها في صخرةٍ صَمَّاءَ لا يُوصَلُ إلى ما في باطِنِها.

٤ ــ الشَّعْبُ: الناحية والموضعُ. والفارغ: الخالي. يريدُ: الخاصَّ الذي لا يُشاركُهُ فيه أحـــدٌ غيرُهُ. والنَّجْوى: السِّرُّ. ويُرَامُ: يُطْلبُ. واطِّلاعُها: الاطِّلاعُ عليها، أي العِلْمُ بها والظُّهورُ عليهَا.

(٤)
مقطوعاتٌ لِسَابقٍ البَرْبَرِيِّ

١ ــ قال سَابِقٌ البَرْبَرِيُّ ينصح بالتَّأني في اختيار الصَّديقِ:

شعر سابق البربري ص: ١١٦
ومذهب تاريخ دمشق ٦: ٤٢

١ – إنْ كُنْتَ مُتَّخِذاً خَلِيلاَ ... فَتَنَقَّ وانْتَقِدِ الخَلِيلاَ
٢ – مَنْ لَمْ يكُنْ لكَ مُنْصِفاً ... في الوُدِّ فَابْغِ بِهِ بَدِيلاَ
٣ – وعليكَ نَفْسَكَ فَارْعَها ... واكْسِبْ لَها عَمَلاً جَمِيلاَ
٤ – ومَنِ اسْتَخَفَّ بِنَفْسِهِ ... زَرَعَتْ لَهُ قَالاً وقِيلاَ
٥ – وأقَلُّ ما تَجِدُ اللَّئِيـ ... ـمَ عليكَ إلاَّ مُسْتَطِيلاَ

---

١ ــ اتَّخذَهُ خليلاً: اصْطنعهُ واختصَّ به، أو اختارَهُ واصطفاهُ. والخليلُ: الصَّديق الذي أُصْفِي المودَّة وأصَحَّها. وتنقَّى الشيءَ: انتقاهُ، أي اختارَهُ. ونقاوةُ الشيءِ: خِيارُهُ وأفضلُ ما انتقيْتَ منه. ونَقَدَ الشيء: ضربَهُ بإصبَعِهِ كما تُنْقَرُ الجوزةُ. ونَقَدَ الطَّائِرُ الحبَّ: إذا كان يَلْقُطُهُ واحداً واحداً، وهو مثل النَّقْرِ. ونَقَدَ النَّقَّادُ الدَّراهمَ وانْتقدَها: ميَّزَ جيِّدَها من رديئها، أي أخرَجَ منها الزَّيْفَ. يريد: اختر الخليلَ بعدَ أن تَخْتَبِرَهُ وتَمْتَحِنَهُ.

٢ ــ المُنْصِفُ لك في الوُدِّ: الذي يبذلُ لك من الوُدِّ مثلَ ما تبذُلُ له، أي الذي يبادِلُكَ حُبًّا بِحُبٍّ. وابْغِ به بديلاً: أي اسْتبدِلْ به غَيرَهُ، واتَّخذْهُ بدلاً منه، أي خَلَفاً وعِوَضاً.

٣ ــ عليك نفسَكَ: الزَمْها وانظر فيما يُصْلِحُها وينفعُها. ورَعَى نفسَهُ: حَفِظها وأكْرَمَها. وكَسَبَ العَمَلَ: أتاهُ وفعَلَهُ. والجميل: الصالح.

٤ ــ استخفَّ بنفسه: استَهَان بها ولم يَصُنْهَا. وزرعَتْ له: أنبتَتْ وأوجدَتْ. يريدُ: أكسبَتْهُ وأوْرَثَتْهُ. وتقولُ العربُ: كَثُرَ فيه القالُ والقِيلُ، ويقال: إنَّ اشتقاقَهما من كثرة ما يقولون: قال وقيل له. ويقال: هما اسمان مُشتقَّان من القَوْلِ. يقول: من استخفَّ بنفسه صار أحْدوثةً وذمَّهُ النَّاسُ بالحقِّ وبالباطلِ.

٥ ــ وَجَدَ الرَّجلَ: لقيَهُ وصادفَهُ. واللَّئيم: الدَّنِيءُ الأصلِ الشحيحُ النَّفْسِ. والمستطيلُ: المُتكبِّرُ الذي يرفعُ رأسَهُ ويرى أنَّ له على النَّاسِ فَضْلاً في القَدْرِ.

٦ – والمَـــرْءُ إنْ عَـــرَفَ الجَمِيـــلَ وَجَدْتَـــهُ يـــأتي الجَمِيـــلاَ
٧ ــ ولَرُبَّـــما سُئِـــلَ البَخِيـــلُ الشَّـــيءَ لا يَسْـــوَى فَتِيـــلا
٨ – فَيَقُـــولُ لا أَجِـــدُ السَّبِيـــلَ إليـــه يَكْـــرَهُ أنْ يُنِيـــلاَ
٩ – وكـــذاكَ لا جَعَـــلَ الإلـــهُ لـــهُ إلى خَيْـــرٍ سَبِيـــل
١٠ – يـــا مُبْتَـــنِي الـــدَّارَ الـــذي هـــو مُسْـــرِعٌ عنـــها الرَّحِيـــلاَ
١١ – إنْ لَـــمْ تُنِـــلْ خَـــيْراً أخَـــا كَ فكُـــنْ لـــهُ عَبْـــداً ذَلِيـــلاَ

---

٦ ــ الجَميلُ: الخيرُ والمعروفُ. ويأتي الجميلَ: يصنعُهُ ويُسْدِيهِ ويُقدِّمُه.

٧ ــ سألَهُ الشيءَ: طَلَبَهُ منه. ولا يَسْوَى: لا يُساوي، أي لا يُعادلُ، وهي قليلة. وقيل: هي لغةُ أهل الحجاز. والفتيلُ: ما يُفْتَلُ بين الإصبَعَين من الوَسخ. وقيل: السَّحاةُ في شقِّ النَّواة. والنَّقِيرُ: النُّكْتَةُ في ظَهْرِ النَّواة، والقِطْمِيرُ: القِشْرَةُ الرَّقيقةُ في النَّواة. وهذه الأشياء تُضْرَبُ كلُّها أمْثالاً للشَّيءِ التَّافه الحقيرِ القليل. يقول: يُسْألُ البخيلُ الشيءَ الذي لا يساوي قَدْرَ الفتيل.

٨ ــ لا أجدُ السَّبيلَ إليه: لا أملكُهُ ولا أستطيعُ توفيرَهُ. ويَكْرَهُ: يأبى، أي لا يريد. ويُنيلُ: يعطي.

٩ ــ يدعو عليه أنْ يحرِمَهُ اللهُ الخيرَ جزاءَ بُخْلِه.

١٠ ــ بنى الدَّار وابْتَناها: أقامَها ورفعها وشيَّدها، فهو بانٍ ومُبْتَنٍ. والرَّحيلُ: الارْتحالُ، أي الانتقالُ والزَّوالُ. يريد: الرَّحيلَ من الدُّنيا إلى الآخرة، أي الموت والهلاك.

١١ ــ أنالَهُ معروفه ونَوَّلَهُ: أعْطاه إيَّاه. والعبدُ: الإنسانُ حُرًّا كان أو رقيقاً، يُذهَبُ بذلك إلى أنه مَرْبوبٌ لباريه جلَّ وعزَّ. والعبدُ: المملوكُ، خلافُ الحُرِّ. والذليل: الرَّفيقُ الرَّحيم، من الذُّلِّ، وهو الرِّفقُ والرَّحْمَةُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾. [الإسراء: ٢٤]. وفيه في صفة المؤمنين: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. [المائدة: ٥٤]. قال ابنُ الأعرابيِّ: معنى قوله: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: رُحماءُ رُفقاءُ على المؤمنين. ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: غلاظٌ شِدادٌ على الكافرينَ. وقال الزَّجاج: معنى ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: أي جانبهُم لَيِّنٌ على المؤمنينَ؛ ليس أنَّهم أذلاَّء مُهانون. وقوله: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: أي جانبُهم غليظ على الكافرين. (اللسان: ذلل). يقول: إن لم تُحْسِنْ إلى أخيك، ولم تصْنَعْ إليه معروفاً، فألِنْ جانبَك وكُنْ لطيفاً في معاملتِهِ.

١٢ – وتجنب الشهوات واحذر أن تكون لها قتيلا

١٣ – فلرب شهوة ساعة قد أورثت حزنا طويلا

---

١٢ ــ تجنب الشيء: تنحى عنه وابتعد. والشهوات: المعاصي والفواحش، واحدتها شهوة. وحذر الشيء: خافه واتقاه وتحرز منه. والقتيل: الهالك.

١٣ ــ شهوة الساعة: المتعة والمنفعة القصيرة. وأورثت: أعقبت. والحزن: الهم والغم، نقيض الفرح. والطويل: المقيم الدائم.

٢ ــ وقال سَابِقٌ البَرْبَرِيُّ يُحَذِّرُ من تَغَيُّرِ الأَصْدقاءِ:

شعر سابق البربري ص: ٢٧
وتهذيب تاريخ دمشق ٦: ٤٢

١ – ألا رُبَّما صــــارَ البَغيــضُ مُصَافيــاً ... وحَالَ عنِ العَهْدِ الصَّدِيــقُ المُثَــافِنُ

٢ – فَلاَ تَغْتَرِرْ ما عِشْتَ مِـــنْ مُتَجَمِّــلٍ ... بِظــاهِرِ وُدٍّ قــدْ تُغَطِّــى البَطَــائِنُ

---

١ ــ البَغيضُ ههنا: المبغِضُ بكسر الغين، وهو الكارهُ الماقتُ القالي. والبغِيضُ: المبغَضُ بفتح الغَين، أي المكروهُ المَمْقوتُ المَقْلِيُّ، فهو من الأضداد. والمُصَافي: الذي يُخلِصُ الوُدَّ ويَصْدُقُ الإخاء. وحال عن العهد: زال عن الحال التي عهدْتَه عليها وعرْفتَهُ، أي انقلَبَ وتَغَيَّرَ. والصَّديق: المُصــادقُ لك، وهو الذي أَمْحَضَكَ المَوَدَّةَ والنَّصيحةَ والإخاءَ. والمُثافِنُ: قال الرِّياشيُّ: المُؤانِــسُ المعاشِــرُ. (تهذيب تاريخ دمشق ٦: ٤٢). وثَافَنْتُ الرَّجُلَ مُثافَنةً: أي صاحَبْــتُهُ لا يَخْفَى عليَّ شيءٌ مــن أمره، وذلك أن تَصْحَبَهُ حتى تعلمَ أمرهُ، أي تُباطِنَهُ وتلزمَهُ حتى تعرفَ دخْلَتَهُ.

٢ ــ اغترَّ بالشيء: خُدِعَ به. والمُتَجمِّلُ: المُتكلِّفُ للجَميلِ، وهو الذي لا يُصْفِــي الإخــاء ويُماسِحُ بالجميل، أي يُلاينُ في القولِ والمعاشرة وقلْبُهُ غيرُ صاف. والظَّاهرُ: البادي. والوُدُّ: الحبُّ. وغطَّى الشيءَ: سترَهُ وأخفاهُ. والبطائِنُ: جمع بطانةٍ، وهي السَّرِيرَةُ.

٣ ــ وقال سَابِقٌ البَرْبَريُّ يُوصي بالتَّسامُحِ في معاملة الصَّديق:

شعر سابق البربري ص: ٩٣

١ ــ إذا ما كُنْتَ طــالبَ كــلِّ ذَنْــبٍ ولم تُحْلِــلْ أخَــاكَ مِــنَ العِتَــابِ

٢ ــ تَبَاعَدَ مَــنْ تَبــاعَدَ بَعْــدَ قُــرْبٍ وصارَ بِــكَ الزَّمــانُ إلى اجْتِنــابِ

---

١ ــ طالبُ كلِّ ذَنْبٍ: هو المُتتبِّعُ لجميع الأخطاءِ المُعاتِبُ عليها الذي لا يتجاوز عن شــيءٍ منها. وأحَلَّهُ من الأمر: استثناهُ منه و لم يُؤاخِذْهُ به. والعتابُ: اللَّوْمُ.

٢ ــ تباعدَ: نَأى وفارقَ وبايَن. وصارَ به إلى الشيء: أفْضى به إليــه، أي أدَّى وانتــهى. والاجتنابُ: البعدُ والتَّنحِّي. يقول: إذا تعقَّبْتَ أخاك في كُلِّ ذنْبٍ أذْنَبهُ، وألْحَحْتَ عليه فيــه، و لم تَصْفَح له عنه، وأكثرتَ من لومِه، جفاك الصَّديقُ، واعتزلكَ النَّاسُ فَصِرْتَ وحيداً مَنْبُوذاً. وهــذا قريبٌ من قول النابغة الذبياني:

ولَسْتَ بِمُسْــتَبْقٍ أخــاً لا تَلُمُّــهُ على شَعَث أيُّ الرِّجال المُــهذَّبُ!

قوله: « لا تَلُمُّهُ »: أي لا تُصْلح من أمْره وتَجْمَعه. والشَّعَثُ: الفسادُ والتَّفرق. والمــهذَّب: النَّقِيُّ من العيوب المخلَصُ. يقول للنُّعمان: إنْ لم تَصْبِرْ للأخ والصَّديق على فساد يكونُ منه، لم تُبْقِ لنفسك أخاً، إذ لا يخلُو الإنسانُ من أنْ تكون فيه خَصْلةٌ غير مَرضيَّةٍ. وضَرَبَ قوله: « أيُّ الرجالِ المُهذَّبُ »: مَثلاً لذلك، وإنَّما ألزمَهُ أن يعفُوَ عنه ويغفِرَ له ما وُشِيَ به عنده. (ديوان النابغة الذبياني ص: ٧٤). ومثله قول بشارِ بن بُرْد:

أخُوكَ الذي إنْ رِبْتَــهُ قــالَ إنَّمــا أرَبْــتُ وإنْ عَاتبْتَــهُ لاَنَ جَانِبُــهْ

إذا كنتَ في كلِّ الذُّنُــوبِ معاتبــاً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الــذي لا تُعَاتِبُــهْ

ويُروى: « في كلِّ الأمور ». (ديوان بشار بن بــرد ١: ٣٠٨). وفي اللســان: «ريــب»: والرواية الصحيحة في هذا البيت: « أرَبْتُ ». أي أخُوك الذي إنْ رِبْــتَهُ بريــبةٍ قال: أنا الذي أرَبْتُ، أي أنا صاحب الرِّيبة، حتى تتوهَّمَ فيه الرِّيبة. ومن رواه « أرَبْتَ » بفتــح التــاء، فإنــه زعــم أنَّ «رِبْتَهُ» بمعنى أوْجبْتَ له الرِّيبة، فأمَّا « أربْتُ » بالضمِّ، فمعناهُ أوْهمتَهُ الرِّيبةَ، و لم تكــنْ واجبــةً مقطوعًا بها.